I. تعريف التفسير:

لغـــة: "لسان العرب": «الفَسْرُ: البيان، فَسَرَ الشيء يَفْسِرُه (بالكسر)، ويَفْسُرُه (بالضم)، فَسْرًا وفَسَّرَه، أبَانَهُ، والتفسير مثله... والفَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل»[1]. وقال الخليل بن أحمد: «الفَسْرُ: التفسير وهو بيانٌ وتفصيلٌ للكتاب»[2].

اصطلاحـًا:

هو: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[3]؛ فالتفسير علم يتناول بالشرح والتوضيح كتاب الله تعالى، وذلك حسب مقدرة العلماء الذهنية والفكرية، فهُم يتفاوتون في فهمه، وبالتالي هم متفاوتون في شرحه وتوضيح معانيه.

وعرَّفَه الزركشي بأنَّه «علم يُفْهَم به كتاب الله المنزَّل على نبيِّه محمد†، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه»[4].

II. تعريف التأويل:

لغـــة: له ثلاثة معاني: الرجوع والسياسة (الإيالة) والتغيّر؛

تاج العروس: «آلَ إلَيه، يَؤُولُ أَوْلاً ومَآلاً: رَجَعَ ..، و آل عنه: ارْتَدَّ..، و أَوَّلَه إليه تَأْوِيلاً: رجَعَه..وآل المالَ أَوْلاً: أَصْلحه وسَاسَهُ كائْتَالَهُ ائْتِيَالاً»[5].

لسان العرب: «الأَوْلُ: الرُجُوع، وأَوَّلَ إليه الشيء: رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشَّيء: ارْتَدَدْتُ.. والائْتِيَال: الإصلاح والسياسة»[6]

فيكون مأخوذاً من الأَوْل بمعنى الرجوع، فكأنَّ المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني، أو يكون مأخوذاً من الإيالة وهي السياسة، فكأن المؤوِّل يَسُوسُ الكلام ويضعه في موضعه[7].

والدلالة على التَّغيُّر[8]تظهر من إشارتهم إلى أنَّ التأويل يدل على العاقبة والمصير، ويتجلى معنى التغير من قولهم: «آل الدُهْنُ وغيره كالقَطْران والعسل واللَّبَن والشراب أَوْلاً وإِيَالاً: خَثُرَ فَهُو آيِل»[9]، ، كأنَّ المؤول يغير نظرته إلى الكلام من معناه الظاهر إلى المعنى الباطن له.

وقال بعضهم: إنَّ التأويل عند العرب يأخذ ثلاثة معانٍ متباينة وقد ربطها باستعمالها في أزمنة مختلفة[10]:

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، 261/10.
[2] - الخليل بن أحمد: معجم العين، 247/7.
[3] - عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح بديع السيد اللحام، دار قتيبة ط1، 1998م، 07/2.
[4] - الزركشي: البرهان، 31/1، وانظر: السيوطي: الإتقان، 461/4.
[5] - الزبيدي: تاج العروس، 31/28.
[6] - ابن منظور: لسان العرب، 264/1.
[7] - حسين الذّهبي: التفسير والمفسرون، 16/1.
[8] - الزركشي: البرهان، 148/2.
[9] - الزبيدي: تاج العروس: 31/28، وابن فارس: مقاييس اللّغة، 158/1.
[10] - مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 158.

- في القرن الرابع الهجري يدور التأويل حول معنى الرجوع والعود.
- في القرن السابع الهجري استعمل التأويل بمعنى التفسير، يقال: تأوَّله أي فسَّره؛ فالتأويل هو التَّفسير والتَّدبر وحُسن تقدير الأمور.
- في القرن السابع الهجري أيضاً أصبح التأويل يعني نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.

ولقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم زهاءَ سبع عشرة مرة في معانٍ يرى بعضهم أنَّها مختلفة[1]، ويرى آخرون أنَّها متقاربة[2]. كما أنَّها كثيراً ما تقترن بالعلم أو التعليم[3] ، وألفى لها مقاتل بن سليمان خمسة وجوه نذكرها هنا:

- **«وجه منها:** يعني منتهى كم يملك محمد وأمته وذلك قوله: ﴿**ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ**﴾ [آل عمران: 07]، حيث أراد اليهود أن يعلموا كم يملك محمد وأمته ثم ينقضي ملكه ويرجع الملك إليهم، ويرى حسين الذهبي أنَّ التأويل هنا بمعنى التفسير والتعيين[4].
- **الوجه الثَّاني:** أنَّه يعني عاقبة ما وعد الله في القرآن من الخير والشر يوم القيامة، فذلك قوله:﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ**﴾ [الأعراف: 53]، وقوله: ﴿**بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ**﴾[يونس: 39].
- **الوجه الثَّالث:** أنَّه يعني تعبير الرؤيا فذلك قوله: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ**﴾، و﴿**وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ**﴾، و﴿**وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ**﴾ [يوسف:06، 21، 101].
- **الوجه الرَّابع:** أنَّه بمعني «تحقيق»، فذلك قوله: ﴿**يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ**﴾ [يوسف:100] يعني تحقيق رؤياي.
- **الوجه الخامس:** أنَّه يعني ألوانه، فذلك قوله: ﴿**لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ**﴾ [يوسف: 37] يعني بألوانه قبل أن يأتيكما»[5].

اصطلاحًـــا:

كان التأويل عند المتقدمين من **علماء العربية والمفسرين** مرادفاً لمعنى التفسير، وهو الكشف والبيان، فقد ورد عن الخليل قوله: «والتَّأوُّل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه»[6]، وسُئِل ثعلب عن التأويل فقال: «التأويل والمعنى والتفسير: واحد»[7]، وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:07]: «التأويل: التفسير والمرجع»[8]، وفي قوله تعالى: ﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ**﴾ [الأعراف:53] بمعنى «هل ينظرون

---

[1] - حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 16/1.
[2] - عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر 2001م، ص35.
[3] - المرجع نفسه، ص 35.
[4] - حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 16/1.
[5] - مقاتل بن سليمان: الأشباه والنظائر في القرآن، تح عبد الله شحاتة، دار غريب القاهرة، 2001م، ص 129، (بتصرف).
[6] - الخليل بن أحمد: العين، 369/8.
[7] - ابن منظور: لسان العرب، 264/1.
[8] - أبو عبيدة: مجاز القرآن، 86/1.

إلاَّ بيانـه ومعانيـه وتفسيره»[1]، وفـي "الكليـات": «التفسير والتأويل واحد، وهو كشف المراد عن المشكل»[2]،

وهو عند **أهل الفقه وأصوله وفِرَق المتكلمين** وغيرهم لا يختلف معناه كثيراً عن الذي ذكرنا عند المفسرين، غير أنَّ الفريقين يختلفان في موضوعه؛ إذ يتناول عند المفسرين والمتكلمين النصوص المتشابهة كآيات الصفات مثلاً، وعند الأصوليين يتناول نصوص الأحكام التكليفية؛ فقيل إنَّ معناه عندهم «مرادف للتفسير، وقيل هو الظن بالمراد والتفسير القطع به، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمى مؤولاً، وإذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسراً »[3].

وقال بعضهم إنَّ مراد الأصوليين بالتأويل هو «صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه، وما يخالف ظاهره»[4]؛ ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل وأنَّه يحتاج إلى دليل، وهذا التأويل هو الذي كان محط جدل بين العلماء، فصنفوا في تسويغه وإبطاله، بتقديم كل فريق حُجَجاً تُؤَيِّد رأيه وتبطل الرأي المخالف.

خلاصة: أجمل ابن تيمية القول في تعريفه عند المتأخرين من الفقهاء والأصوليين وأهل الكلام، فقال «إنَّه عند هؤلاء جميعاً هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به»[5]،

وإذا كان التأويل يحتاج سبباً يكون له، ودليلاً يعتمد عليه، فإنَّه لابد أن يستند إلى ما يعضده ليبرر ويحلل هذا التحول من النص الظاهر إلى المعنى الخفي، وهو بحسب ما يستند إليه ينقسم إلى ثلاثة[6]:

- **التأويل بالأثر:** وذلك إذا استند إلى النص القرآني نفسه، وإلى الآثار المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.
- **التأويل اللّغوي:** وذلك إذا استند إلى قواعد اللّغة وأساليبها في المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها من أساليب اللّغة.
- **التأويل العقلي أو الكلامي**: وذلك إذا استند إلى نظر العقل وبراهينه وأدلته[7].

III. الفرق بين التفسير والتأويل:

- يرى بعضهم أنَّ التأويل مرادف للتفسير.
- ويرى آخرون أنَّ التأويل مباين للتفسير، وفي هذا أقوال[8]:

1) قال الرَّاغب: «التفسير أعمُّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجُمَل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها».

---

[1] - المصدر نفسه، 216/1.
[2] - الكفوي: الكليات، 261/1.
[3] - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، 376/1.
[4] - ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، ص 22.
[5] - حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 18/1، (بتصرف).
[6] - حسين حامد: التأويل اللّغوي في القرآن الكريم، ص 20، 21.
[7] - **التأويل النحوي:** «هو ردُّ النص إلى القاعدة النّحوية»، «حمل اللفظ على غير ظاهره لمراعاة القاعدة أو لمراعاة المعنى»، «التأويل إنَّما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُتَأول» (السيوطي).
[8] - السيوطي: الإتقان، 459،460/4، والزركشي:البرهان: 92،93/2، والذهبي: التفسير والمفسرون، 19،20،21/1، والزرقاني: مناهل العرفان، 10/2، والعسكري: الفروق اللّغوية، تح محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة، (د.ت)، ص 58.

2) وقال الماتُريدي: «التفسير القطع على أنَّ المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنَّه عنى باللفظ هذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله».

3) وقال البجلي: «التفسير يتعلق بالرِّواية، والتأويل يتعلق بالدِّراية».

4) وقال غيره: «التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلاَّ وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة».

5) وقال أبو طالب التغلبي: «التفسير بيان وضع اللفظ إمَّا حقيقةً أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيِّب بالمطر، والتأويل تفسير بَاطِنِ اللفظ؛ فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد».

6) وقال آخرون: يعتبر في التفسير الاتباع والسماع، وإنَّما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل، ولهذا قالوا إنَّ التفسير للصحابة رضي الله عنهم، والتأويل للفقهاء.

7) وقال بعض المحدثين: «التفسير والتأويل يشتركان في ملمح البيان والتوضيح، وينفرد التأويل ببيان ما غَمُض معناه، واشتبهت مقاصده واحتاج إلى تعمق وتبصر»[1].

خلاصة:

أنَّ التفسير نال شرف المكانة لما تميز به من الموضوعية، وكان في تحديد الدّلالة قطعياً وذلك لكونه يتحرى البحث في ظاهر العبارة بالاعتماد على المسموع والمروي من المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الصحابة رضي الله عنهم، لذا تعلق في غالبه باللفظ وعمَّ فشمل غير الكتب الإلهية.

أمَّا التأويل وقد غُضَّ من شأنه لأنَّه يتميز بالذاتية كان في تحديد الدّلالة ظنياً لا قطعياً، وذلك راجع لكونه يعتمد على ما يستنبطه العالم بالاعتماد على أداوته ومكتسباته الخاصة، ولا يخفى تفاوت العلماء في هذا، وقصور وسائلهم عن الغرض النهائي، والمعنى المراد، وقد جُعِل للمعاني حيث يرجع الاحتمالات إلى واحد منها بالتبصر والمدارسة فهو اجتهاد شخصي في تحديد الدلالة.

[1] - محمد داود: معجم الفروق الدلالية في القرآن، ص 95.